

أهل السنة والجماعة

انتقد العلامة الموريتاني الدكتور محمد الحسن ولد الددو ، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هذا المصطلح « أهل السنة والجماعة » ؛ وقال : « إنه عبارةٌ مُحدثةٌ ومفهومةٌ لم يرد في نصوص الوحيين ؛ وإنما نشأ في سياق التدافع السياسي بين الأمويين وخصومهم السياسيين من الشيعة والخوارج ؛ لكن بعض فرق أهل السنة استأثرت بهذا اللقب ، ونقلته من إطاره السياسي إلى إطار فقهي واعتقادي ؛ تمكنت به من إقصاء الفرق السنية الأخرى ؛ وجعله علامةً خاصة بها » [نقلاً عن موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين] :

أولاً : نتعجب من قول العلامة الددو : « إنه عبارةٌ محدثةٌ ومفهومةٌ لم يرد في نصوص الوحيين » ؛ لقد ثبت من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ورواه عنه الإمام اللالكائي في كتابه « اعتقاد أهل السنة والجماعة » ، ونقله ابن كثير في تفسيره ؛ عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال : يعني يوم القيامة حين تبيضُّ وجوه أهل السنة والجماعة ؛ وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة والفرقة ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما . [انتهى نص كلام ابن كثير] والخبر عن ابن عباس في كتاب اللالكائي [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٧٢]

وثبت هذا الكلام عن حبر الأمة عبد الله بن عباس يجب أن يردع كائناً من كان عن وصفه بأنه مُحدَث ؛ هذا وابن عباس إنما أخذ هذا

الوصف من الحديث المشهور الذي قال فيه النبي ﷺ : « .. وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي » ، وفي رواية قال : « هي الجماعة » [انظر الشريعة لأبي بكر الآجري ٤٣٣/١ ، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٠٠/١]

فما هو عليه ﷺ : هذه هي السنة ؛ وأصحابه : هم الجماعة ؛ فنحن مقيدون في فهم الإسلام بهذين الضابطين : السنة ، ومنهج الصحابة في فهمها ؛ ولا أظن العلامة الددو ينازع في هذا ؛ وإلا صارت المشاغبة في الثوابت .

قد يُقال : إن فهم الصحابة غير مُلزم باعتباره اجتهاداً غير معصوم ؛ نعم اجتهادهم على مستوى الأفراد غير مُلزم فنحن كما قال الإمام أبو حنيفة : إذا اختلف الصحابة أختير من أقوالهم ولا أخرج عنها . المقصود هو منهج مجموع الصحابة ؛ وليس اجتهاد الأفراد منهم ؛ ونقصد بالمنهج طريقتهم في فهم الوحيين ؛ فهذه الطريقة مُلزمة ، وإليها الإشارة في القرآن بقوله تعالى : ﴿ .. وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١١٥] فسبيل المؤمنين المتوَعَدُّ مَنْ يَخَالِفُهَا بالعقوبة الشديدة الواجبُ أن تكون هي سبيل الصحابة ؛ وإلا فسبيل من ؟

هل نقول : سبيل مجموع المسلمين في كل زمان ومكان ؟

إذن يكون هذا القائل قد أحالنا إلى مئات السبل المختلفة المتنازعة ؛
بينما أسلوب الآية يدل على أنها سبيلٌ واحدةٌ مؤتلفةٌ لا اختلافَ فيها .
ثانياً : هذه اللوثة كيف انتقلت عدواها إلى العلامة الددو مع ما عُرف
عنه من علم وعقل ، أعني لوثةَ التجميع بلا منهج ؛ تجميع كل من
هَبَّ ودبَّ ؛ يكفي أن يرفع شعارَ الإسلام ؛ ولو كان ينقضه باعتقاده ؛
كالروافض ، وهذه اللوثة _ للأسف _ ما زال كثير من الدعاة
والمثقفين والكتاب واقعين تحت تأثيرها ؛ ولهذا في اتحاد علماء
الإخوان المسلمين _ هكذا ينبغي أن يكون اسمه _ تجد الروافض
والخوارج والجهمية وربما المعتزلة ؛ فتجد الرافضيَّ « التسخيريَّ »
بجوار الشيخ العلامة القرضاوي _ وهو من فقهاء أهل السنة
والجماعة _ ؛ ولو حدّث القرضاوي نفسه مرةً بأن يسأل هذا الرافضي
عن اعتقاده في القرآن ، وفي أمهات المؤمنين ، وفي الرعيّل الأول
أصحابِ رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ، بل وفي السنة النبوية ؛
وأجاب الرافضيُّ بالحقيقة لا بالتقية لسأل القرضاوي نفسه : كيف
أجلس مع هذا المجوسي في اتحادٍ واحدٍ ، وما الجدوى من ذلك ؟
إن محاولة التَّخَفُّفِ _ بل نقول التخلُّص _ من ضوابط الإسلام ينتج
إسلامًا لا طعمَ له ولا لونَ ولا رائحةَ ؛ إسلامًا مُشْبَعًا بالعموميات
والشعارات ، لا بالحقائق ؛ وهذا مخالف لنص القرآن ؛ فالقرآن
العظيم دعانا إلى توحيد الكلمة ولكن على الكتاب والسنة في قول
الله تعالى ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ [آل

عمران : ١٠٣] فالاعتصام والاجتماع يجب أن يكون على حبل الله ؛
الذي هو القرآن والسنة .

ونحن نرى أن مصطلح أهل السنة والجماعة يدخل تحت مظلته كل
من اعتمد السنة ومنهج الصحابة ، ويدخل في ذلك الأشاعرة
والماتريدية والصوفية لأنهم لا ينازعون فيهما ، ومن نازع فيهما من
هذه المذاهب كغلاة الأشاعرة والماتريدية ؛ وغلاة الصوفية ؛ فلا
يدخلون في هذا الإطار ؛ أما المعتزلة فلأنهم ينازعون في السنة
ويقدمون عليها الدليل العقلي فلا يدخلون أيضاً في هذا الإطار ؛ وأما
الروافض كالشيخ المجوسي « التسخيري » وأمثاله من « التساخير »
الذين يضحكون على اتحاد علماء الإخوان المسلمين بالتقية ،
والروافض دينهم الكذب ؛ فلا يدخلون في الإسلام أصلاً ؛ لأنهم لا
يؤمنون بأي من ثوابته .

وقد نشرنا فتوى بهذا المضمون في شمول مصطلح أهل السنة
والجماعة للأشاعرة والماتريدية والصوفية ؛ نشرت في موقع « الإسلام
اليوم » ؛ ووقع معي على هذه الفتوى اثنان من علماء القصيم هما :
فضيلة الشيخ محمد بن ناصر السحيباني ، وفضيلة الشيخ عبد الله
الغنيان ، المدرسان بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة النبوية .

كتبه

عبد العزيز القارئ

بالمدينة النبوية

في ١٩ / ٨ / ١٤٣٢ هـ